التمدد الجغرافى للدولتين العثمانية والصفوية وأثره الاقتصادى

من القرن ١٣ وحتى القرن ١٧م

د/ خفة سعد مصطفى على

مدرس بقسم اللغات الشرقية تخصص تاريخ وحضارة

كلية الآداب جامعة قناة السويس بالاسماعيلية

ملخص البحث:

قامت ونشأت كلا الدولتين العثمانية والصفوية على رقعة من الأرض محدودة،ذات اقتصاد محدود ،وكلما اتسعت رقعة الدولة وامتدت جغرافيتها نمت وكبرت،وتظهر أهمية هذا النمو وهذا الامتداد فى المناطق التى هى ذات واقع اقتصادى واستراتيجى فى وقت واحد ،سواء فى الجانب الزراعى والصناعى والتجارى،لأن الاقتصاد هو عصب الدول ولا تقوم أى دولة دون هذا العصب المدعوم بفكرتنموى خلاق ،يزيد من قوتها و يعمل على استمرارها ودوامها.

ولا يدب الانهيار فى دولة إلا إذا أساءت استثمار قوتها الاقتصادية وفقدت قوتها الاستراتيجية ،وساءت إدارتها، فالاقتصاد كما هو ركيزة مهمة في ارتقاء الدول، هو في الوقت ذاته عامل جوهرى في انهيارها.

ومن هذا المنطلق جاءت أهمية هذا البحث فى الكشف عن الامتداد الجغرافى للدولتين العثمانية والصفوية وأثر هذا الامتداد على اقتصادهما منذ القرن الثالث عشر وحتى القرن السابع عشر متضمنا التطور الاقتصادى لهاتين الدولتين ،والحديث عن موارد اقتصادهما،ومصارف ونفقات أموال هاتين الدولتين.

Research Summary:

Both the Ottoman and Safavid states were established and established on a limited area of land, with a limited economy, and as the state expanded and its geography expanded, it grew and grew. The importance of this growth and expansion appears in regions with an economic and strategic reality at the same time, whether in the agricultural, industrial, and commercial aspects, because

the economy It is the backbone of states, and no state can exist without this backbone, which is supported by a creative development idea that works to ensure its continuity and permanence.

Collapse does not occur in a country unless it misinvests its economic power, loses its strategic power, and mismanages it. The economy, just as it is an important pillar in the rise of countries, is at the same time a fundamental factor in their collapse.

From this standpoint, the importance of this research came in revealing the geographical extension of the Ottoman and Safavid states and the impact of this expansion on their economy from the thirteenth century until the seventeenth century, including the economic development of these two countries, and talking about the resources of their economy, and the banks and expenditures of the funds of these two countries.

المقدمة

قامت ونشأت كلا الدولتين العثمانية والصفوية على رقعة من الأرض محدودة،ذات اقتصاد محدود ،وكلما اتسعت رقعة الدولة وامتدت جغرافيتها نمت وكبرت،وتظهر أهمية هذا النمو وهذا الامتداد فى المناطق ذات واقع اقتصادى واستراتيجى فى وقت واحد ،سواء فى الجانب الزراعى والصناعى والتجارى،لأن الاقتصاد هو عصب الدول ولا تقوم أى دولة دون هذا العصب المدعوم بفكرتنموى خلاق يعمل على استمرارها ودوامها.

ولا يدب الانهيار فى دولة إلا إذا أساءت استثمار قوتها الاقتصادية وفقدت قوتها الاستراتيجية ،وساءت إدارتها، فالاقتصاد كما هو ركيزة مهمة في ارتقاء الدول، هو في الوقت ذاته عامل جوهرى في انهيارها.

ومن هذا المنطلق جاءت أهمية هذا البحث فى الكشف عن الامتداد الجغرافى للدولتين العثمانية والصفوية وأثر هذا الامتدادعلى اقتصادهما منذ القرن الثالث عشر وحتى القرن السابع عشر متضمنا التطور الاقتصادى لهاتين الدولتين ،والحديث عن موارد اقتصادهما،ومصارف ونفقات أموال هاتين الدولتين.

فالتمدد الجغرافى وما أثمر عنه من تطور اقتصادى يتمثل فى إنشاء جهاز إداري وعسكري منظم ،وتنظيم للأمور الاقتصادية كتقوية العلاقات التجارية وإنشاء مدن تجارية و مراكزكبيرة للتجار والحرفيين والسيطرة على الطرق الكيرى للتجارة والعمل على توفير السلع المتنوعة على مستوى التجارتين الداخلية والخارجية وتطور واتساع الزراعة و المنتجات الزراعية والرعوية و المنتجات الحرفية والصناعية وتطوير مناجم الفضة والنحاس.

وبيان إرادات الدولة المتمثلة فى مجموعة الضرائب وعوائد المناجم وحاصلات بيت المال والغنائم والجزية.
والكشف عن مصارف ونفقات الدولة المتمثلة فى الرواتب ومصاريف بلاط الدولة ومصاريف الإعمار والمصاريف والنفقات العسكرية .

مشكلة البحث:

تتمحور مشكلة البحث حول بيان الأثر الاقتصادى للامتداد الجغرافى للدولتين العثمانية والصفوية منذ القرن الثالث عشر وحتى القرن السابع عشر .

هدف البحث:

يتمثل هدف البحث فى الكشف عما تسبب فيه الامتداد الجغرافى للدولتين العثمانية والصفوية من تطور

لاقتصادهما ، وبيان مواردهما الاقتصادية ، ومصارف ونفقات أموالهما.

- أهمية البحث:

تشير أهمية البحث إلى الفائدة العلمية التى يقدمها البحث للمعرفة الإنسانية والمتمثلة فى الكشف عما أسفر عنه التمدد الجغرافى من تطور اقتصادى ،وتنظيم للأمور الاقتصادية وتقوية العلاقات التجارية الداخلية والخارجية واتساع الزراعة و المنتجات الحرفية والصناعية وتطوير المناجم .وبيان إرادات الدولة والكشف عن مصارف ونفقات الدولة .

- منهجية البحث:

تعتبر منهجية البحث هي مجموعة من الخطوات المنظمة التي يتم من خلالها بيان الأثر الاقتصادى للامتداد الجغرافى للدولتين العثمانية والصفوية منذ القرن الثالث عشر وحتى القرن السابع عشر .وبيان ما يعكسه هذا الامتداد من إيرادات تدخل خزينة الدولة ونفقات ومصروفات تخرج منها.

حدود البحث:

تتضمن حدود البحث مجالات موضوعية و مكانية و زمانية .

- الموضوعية : التمدد الجغرافى للدولتين العثمانية والصفوية وأثره الاقتصادى
- الزمانية : منذ القرن الثالث عشر وحتى القرن السابع عشر .
- المكانية : الدولة العثمانية و الدولة الصفوية.

تقسيم البحث :

يتضمن تقسيم البحث بعد المقدمة أربعة مباحث، وخاتمة متضمنة العديد من النتائج.

المبحث الأول: التمدد الجغرافى وأثره على التطور الاقتصادى للدولة العثمانية

المبحث الثانى: التمدد الجغرافى وأثره على موارد ونفقات الدولة العثمانية

المبحث الثالث: التمدد الجغرافى وأثره على التطور الاقتصادى للدولة الصفوية

المبحث الرابع: التمدد الجغرافى وأثره على موارد ونفقات الدولة الصفوية

الخاتمة:وتتضمن أهم النتائج.

المبحث الأول

التمدد الجغرافى وأثره على التطور الاقتصادى للدولة العثمانية

تكمن أهمية هذا المبحث فى الكشف عن الامتداد الجغرافى للدولة العثمانية ،وانعكاس هذا الامتدادعلى التطور الاقتصادى لها ، والمتمثل فى إنشاء جهاز إداري وعسكري منظم ،وتنظيم للأمور الاقتصادية كتقوية العلاقات التجارية وإنشاء مدن تجارية و مراكزكبيرة للتجار والحرفيين والسيطرة على الطرق الكيرى للتجارة والعمل على توفير السلع المتنوعة على مستوى التجارتين الداخلية والخارجية وتطور واتساع الزراعة و المنتجات الزراعية والرعوية و المنتجات الحرفية والصناعية وتطوير مناجم الفضة والنحاس على النحو التالى.

الانطلاقة الاقتصادية الأولى للإمارة العثمانية :

تردد كثيرا فى المصادر التاريخية أن العثمانيين منذ بداية القرن الثالث عشر الميلادي وهم قبيلة بدوية ترعى المواشي قرب مدينة بلخ ،ولكن الظروف السياسية المتغيرة على أيدى المغول أثناء اجتياحها لمنطقة آسيا الوسطى أجبرت العثمانيين على الهجرة تجاه الأناضول ،وهناك مكنتها الظروف من السيطرة على منطقة "قراجه طاغ" – شمال غربي الأناضول – من السلطان السلجوقي علاء الدين كيقباد (١)

.فكانت هذه المنطقة بمثابة الانطلاقة الاقتصادية الأولى للإمارة العثمانية ،رغم أنها منطقة جبلية تصلح إلى حد ما لتربية المواشي. وسرعان ما أن استولت القبيلة على " قره حصار" ،(افيون)، على يد زعيمها "عثمان الأول" فنال بذلك لقب بك (أمير) من السلطان السلجوقي على جميع الأراضي التي افتتحها على شكل إقطاعات كانت بمثابة المستند الاقتصادي الأول لقيام الإمارة العثمانية . (٢)

الإمارة العثمانية تكتسب مكانة سياسية مميزة:

فى عام ١٣٠٨ م وافت المنية السلطان السلجوقي، علاء الدين كيقباد الثالث،مما أدى إلى انفراط عقد السلاجقة، فاستطاع العثمانيون تأدية دور مرموق في محاربة البيزنطيين، هذا الدور الفاعل جعل أميرها عثمان يحصل على لقب

---

(١)البكري الصديقي محمد بن أبى سرور (ت) ١٠٧١ هـ): المنح الرحمانية في الدولة العثمانية، وذيله اللطائف الربانية على المنح الرحمانية، تحقيق ليلى الصباح، دمشق .١٩٩٥، ص ١٧ .

(٢)ميرزا الإيراني، أبو الفضل فارسي تاريخ سلاطين بني عثمان، مكتبة الأسد. دمشق، رقم ١٥٩٠٥، ص ١٥ سعيد برجاوي: الدولة العثمانية وتاريخها السياسي والعسكري، بيروت، ١٩٩٣ ص ٥

(بادشاه» – (ملك) (١) ،وهو لقب يطلق على حاكم دولة حتى وإن كانت صغيرة الحجم ،مما جعل العثمانيين يكتسبون مكانة سياسية جعلتها قادرة على ضم مدينة" بورصة " في عهد "أورخان" ١٣٢٦ – ١٣٦٠ م،مما جعلها تسيطر على منطقة من أهم المناطق الاستراتيجية في الأناضول حيث إنها تعد محطة مهمة على طريق الحرير، وإحدى أهم مناطق إنتاج ونسج وتسويق الحرير (٢)

البدء فى تنظيم الأمور الاقتصادية:

بدأت الدولة العثمانية تعمل على ضبط وتنظيم الأمور الاقتصادية الداخلية للدولة متمثلا فى سك العملة الفضية لأول مرة، (٣)وإنشاء جهاز إداري وعسكري منظم عمل على تحقيقه علاء الدين أخو السلطان أورخان ووزيره، في الوقت الذي كان فيه اورخان يوسع من امتدادات دولته ، حيث قام بضم كل من "أزنيك" و"أزميد" وإمارة "قره سي" على البر الأناضولي لجسم دولته بين عامي ١٣٢٧ – ١٣٣٦ م (٤)كما قام بضم "تزنيب" ومن ثم "غاليبولي" سنة ١٣٣٧ م) على الطرف البلقاني (٥).

البعد الاقتصادى الجديد نتيجة توسُّع الإمارة العثمانية:

توسعت الإمارة العثمانية فضمت إليها مدينة «أدرنه» وهى مدينة ذات موقع استراتيجي ومكانة تجارية عظيمة، وذلك في عهد مراد الأول ١٣٦٠ – ١٣٨٩م،حيث يتمثل البعد الاستراتيجى والاقتصادى فى إقامة علاقة تجارية بين تجار هذه المدينة والتجارالأوروبيين،نتج عنها انتعاشة اقتصادية متمثلة فى إنشاء كثير من الحوانيت وتقدينم السلع المتنوعة وأصبحت إحدى أهم المناطق لسك النقود ،مما جعلها عاصمة البلاد، نظرا لأهميتها من الناحية الاقتصادية (٦)ثم توج السلطان مراد الأول أعماله الاستراتيجية، بأن ضم إلى جسم دولته ثم تم ضم مدينة "تسالونيك" – عاصمة مقدونية اليونانية – التى تعتبر مركزاً كبيراً للتجار والحرفيين،نظرا لتنوع سلعها، وشهرة منسوجاتها، مما وفر دخلاً لخزينة الدولة كان يعتبر من أهم مصادر دخلها، وذلك لكثرة التجار الأجانب

---

(١)محمد جميل بيهم: العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب، بيروت، ١٩٥٧، ص ٧٥

(٢)الخوند مسعود: الموسوعة التاريخية الجغرافية، بيروت ١٩٩٥ – ١٩٩٦، ج ٦ ص ٢٩٨

(٣)بروكلمان كارل تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير يعليكي، بيروت، ١٩٦٥.، من ٤١٣

(٤)أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني، بيروت، ١٩٩٣.، ص ٤٧

(٥)كوبريلي محمد فؤاد قيام الدولة العثمانية، ترجمة: أحمد السعيد سليمان القاهرة، ١٩٦٧.، ص ١٨١.

(٦)هارتمان :مادة أدرنة دائرة المعارف الإسلامية ، ج ١، ص ٥٣٥ – ٥٤٠

ونشاطهم الدائب فيها لذلك تعد إحدى أهم المدن التجارية (٢).

آثار اقتصادية مهمة لامتداد الدولة العثمانية:

زاد الامتداد الجغرافى فى عهد السلطان محمد الفاتح ١٤٥١ – ١٤٨١ م، بسيطرته على القسطنطينية سنة ١٤٥٣ م (١) عاصمة لدولته، ثم سيطر على مملكة طرابزون على البحر الأسود سنة ١٤٦١ م (٢).

وبعد مجموعة من الأعمال العسكرية سيطر على معظم دول البلقان (٣)، فكان لامتداد الدولة العثمانية نتائج اقتصادية مهمة، هذا الامتداد، كان يؤلف إقطاعات ضخمة، تعين الدولة على ما يحتاجه جندها من نفقات وما كان يأتي إلى خزينة الدولة من موارد عن طريق الضرائب المتنوعة، وصارت الدولة العثمانية تسيطر سيطرة كاملة على طريق الحرير، بعد خروجه من الأراضي الإيرانية، مما وفر لها أيضاً موارد إضافية ودخلاً وفيرا لخزينتها، خاصة بعد ضم مملكة طرابزون التي تعتبر أهم المداخل إلى وسط آسيا وبلاد القوقاز وروسيا (٤).

كما أدى امتداد الدولة العثمانية وسيطرتها إلى مزيد من على سواحل البحر الأسود، المرتبط ارتباطاً وثيقاً باستانبول إلى مزيد من الأثر الاقتصادى كتوفير العديد من السلع كالأسماك المجففة والكافيار والأخشاب والحديد والقمح والصوف. (٥)

النقلة النوعية الأكثر أهمية في تاريخ الدولة العثمانية:

وما أن زاد الامتداد فى عهد السلطان سليم الأول ١٥١٢ – ١٥٢٠ م، واستولى على تبريز عاصمة الدولة الصفوية عقب معركة جالديران ١٥١٤ م (٦)، ثم على ديار بكر – آمد) ١٥١٥م، بالإضافة إلى (ماردين والموصل

---

(١)سالم الرشيدي :محمد الفاتح القاهرة، ١٩٥٦ م، من ٥٣-٥٤

(٢). برنارد لويس: استنبول ترجمة: السيد رضوان علي بنغازي ، (د. ت)، ٣٨

(٣)محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلمية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي بيروت ١٩٩٣، ص ١٦٨، ١٧٥ ، ١٧٧

(٤). ف. هايد : في تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة: محمد أحمد رضاء القاهرة، ١٩٨٥، ج ٢، ص ص ٣٣٠

(٥)فرنان بروديل :ا البحر المتوسط، ترجمة: عمر بن سالم، تونس ١٩٩٠، ص ٣٦ – ٣٧

(٦)محمد جميل بيهم :المرجع السابق، ص ١٠٣

والموصل وسنجار و حصن كيفا والعمادية وجزيرة ابن عمر ١٥١٦ م إلا وكانت النقلة النوعية الأكثر أهمية في تاريخ الدولة العثمانية، إذ دخلت هذه المناطق إلى طاعته دون حرب. (١)

كديار بكر الواقعة على الضفة اليسرى لنهر دجلة، الصالح للملاحة والمنحدر إلى الموصل وبغداد يجعل منها محطة استراتيجية الطرق المواصلات الدولية، عدا عن كون هذه المراكز تعتبر بحد ذاتها بلداً منتجاً لمختلف المزروعات والجلود والأنسجة والنحاسيات والفخاريات (٢)

الامتداد الجغرافى وسيطر ت الدولة العثمانية على طريق الحرير:

إن الامتداد الجغرافى المتوج بالانتصارات جعل السلطنة العثمانية، منذ ذلك الحين تسيطر على طريق الحرير عبر محورين أساسيين هما :المحور الأول: الذي يربط تبريز بحلب.والمحور الثاني : الذي يربط تبريز ببورصة.مما جعل هذه المراكز الاقتصادية الفنية، التي تقع على طول هذين المحورين مصادر دخل عظيمة للخزينة العثمانية على المدى الطويل (٣).حيث كانت البضائع القادمة من الصين وإيران تنتقل عبر أراضي السلطنة العثمانية، إلى أوروبة مباشرة، عن طريق التجار الأوروبيين، الذين كانوا يقومون بدور المتسلم لها، لتوزيعها في كافة أنحاء أوروبا (٤)، (٤)، لا بل زاد السلطان سليمان القانوني ١٥٢٠ – ١٥٦٦ م للحفاظ على أمن بلاده من الناحية الاقتصادية، بأن اجتاح جزيرة رودوس سنة ١٥٢٢ م، بهدف حماية خطوط الاتصال بين استانبول والإسكندرية، من هجمات فرسان القديس يوحنا الأورشليمى على وجه التحديد (٥) فى الوقت الذى تحولت فيه التجارة إلى المحيط الأطلسي، لم تفقد الطرق القديمة أهميتها على ارتفاع أسعار سلعها، وخاصة التوابل، التي قلل الإبحار عبر المحيط الأطلسي من أسعارها، لكن طول المسافات التي كانت تقطعها السفن من الهند إلى شبه الجزيرة الإيبرية ومنها إلى مدن أوروبا، كان يؤثر على قيمة وجودة التوابل، ويفقدها نكهتها، مما سمح للتوابل التي ترد عن مدن السلطنة

(١). نبذة في ذكر ملوك آل عثمان، ص ٥١

(٢)ايوار، مادة ديار بكر دائرة المعارف الإسلامية، ج ٩، ص ٣٤٩

(٣)سيد محمد السيد : دراسات في التاريخ العثماني، القاهرة ١٩٩٦، ص ٧٦

(٤)روبير مالتران وآخرون : تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: بشير السباعي، القاهرة ١٩٩٣، ج ١، ص ٣٣٤

(٥)محمد عبد اللطيف الهريدي : الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المد الإسلامي على أوروبة، القاهرة، ١٩٨٧، ص ٣٦.

العثمانية، سواء من مصر أو من بلاد الشام أو الأناضول بالاستمرار في أداء دورها إلى حد ما (١)، مما جعل السفن الأوروبية أينما اتجهت شرقاً في البحر المتوسط لا بد لها وأن ترسو في ميناء من موانى الدولة العثمانية (٢).

بالإضافة إلى ذلك كانت المدن الكبرى في مصر القاهرة والإسكندرية) وبلاد الشام حلب ودمشق تدر دخلاً كبيراً للدولة العثمانية، فقد قدر دخل ولايتي دمشق وحلب سنة ١٥٢٨ م باثنين وعشرين مليون آقجة (٣)الذي نتج عنه مكاسب سياسية واستراتيجية واقتصادية جيدة، أوصلت الدولة العثمانية إلى القمة خصوصاً بعد أن اعترفت كل من كيلان وشيروان بالتبعية للعثمانيين ،(٤).وهما من أكثر البلدان المنتجة للحرير (٥) وهذا يعنى أن خزينة الدولة يتدفق إليها مبالغ ليست بالقليلة. (٦)

الامتداد الجغرافى للدولة العثمانية وربط القارات الثلاث:

سيطرت الدولة العثمانية على البحر الأحمر وأصبح بحيرة عثمانية خالصة ،وذلك بعد أن أحكمت سيطرتها على الطريق الآتي من الهند عبر البحر الأحمر سنة ١٥٥٠ م، (٧)أدى ذلك إلى مرور التجارة الآتية من الهند والصين و من السواحل الشرقية الأفريقية، والوصول إلى بلدان السلطنة العثمانية،مما أدى إلى زيادة النشاط التجاري بشكل ملحوظ وانتشار معظم السلع الشرقية في المدن الأوروبية، عبر القاهرة والإسكندرية من جهة، وحلب وطرابلس من جهة أخرى. (٨)

هذا التوسع والانتشار جعل التجار الأوروبيين يتمكنوا من التوغل أكثر فأكثر في الداخلين السوري والمصري، وحدوا بشكل ملحوظ من دور الوسطاء المحليين(٩)،وبلغت مدينة حلب على سبيل المثال مكانة عالية من

---

(١)فرنان بروديل :المرجع السابق، ص ١١٣

(٢)ف. هايد: المرجع السابق، ج ظ ص ١٩٥.

(٣)خليل ساحلي أو غلي :ميزانيات بلاد الشام في القرن السادس عشر الميلادي بحوث المؤتمر الدولي التاريخ بلاد الشام المنعقد في الجامعة الأردنية عمان، ١٩٧٤، ص ٤٩٩

(٤)مرتضى أفندي نظمي زاده: المصدر السابق، ص ١٩٩

(٥)سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص ٨٤

(٦)[illegible]1986 VVI P209

(٧)سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص٨٤

(٨)كلوس كريزر وآخرون :المرجع السابق، ص١٢٩.

(٩)فرنان بروديل: المرجع السابق، ص ١١٤

الازدهار على مدار قرنين وصل فيها عدد الخانات إلى ستة وثمانين، وعدد القيساريات إلى مئة وسبع وثمانين، مما يدل على مدى النشاط الاقتصادي الذي تميزت به هذه المدينة (١).

هذا الامتداد الجغرافى الذي بلغته الدولة العثمانية من حدودها مع إيران شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، ومن حدودها مع روسيا شمالاً إلى بلاد النوبة جنوباً، أدى إلى حركة اقتصادية نشطة، فخلق سوقاً لعملية جرى فيها تبادل السلع المتنوعة في أقاليم مختلفة، على مستوى التجارتين الداخلية والخارجية ،وأدى إلى ربط القارات الثلاث وإطلالها على ثلاثة بحار (البحر المتوسط، البحر الأحمر الخليج العربي التي تربط الشرق بالغرب (٢)

(١). أندريه ريمون :نمو مدينة حلب في القرن السادس عشر أبحاث المؤتمر الدولي الثاني التاريخ بلاد الشام، دمشق ١٩٨٠ ،ج ١، ص ١٩٧

(٢)روبير مالتران وآخرون: المرجع السابق ، ج ١، ص ٣٣٠

المبحث الثانى

التمدد الجغرافى وأثره على موارد ونفقات الدولة العثمانية

تكمن أهمية هذا المبحث فى الكشف عن مدى انعكاس الامتداد الجغرافى للدولة العثمانية ،على الموارد التى تصب فى خزينة الدولة ،المتمثلة فى الزراعة والرعى وتربية الماشية والمنتجات الحرفية والصناعية ،و **مورد مناجم الفضة والنحاس** وعوائدها ،ومجموعة الضرائب المتعددة والمتنوعة ،وعوائد المناجم وحاصلات بيت المال والغنائم والجزية،والكشف عن مصارف ونفقات الدولة المتمثلة فى الرواتب ومصاريف بلاط الدولة ومصاريف الإعمار والمصاريف والنفقات العسكرية .

أولا:موارد الدولة العثمانية:

مورد الزراعة:

تعدُّ الزراعة من أهم موارد الدولة العثمانية ، حيث تتميز بتباينها الشديد بحكم جغرافيتها الممتدة الواسعة وتضاريسها ومناخاتها المختلفة، التي تؤلف وحدات اقتصادية منفصلة أدت إلى أن يكون معظم إنتاجها للاستهلاك الداخلى للدولة، أكثر منه للتجارة والتصدير خارج الدولة (١).

تأتى الحبوب فى المرتبة الأولى كونها من أهم محاصيل الدولة الزراعية ،وتنتشر في مختلف أجزائها وبخاصة في مصر وبلاد الشام. ونظرا إلى انخفاض مستوى إنتاج القمح خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي، فى مصر والأناضول فقد منعت الدولة تصديره كى يكفى حاجتها. (٢)

ثم تأتى بعد الحبوب مباشرة الفواكه من المنتجات المهمة في السلطنة، وتزرع في المناطق القريبة من الشواطيء وعلى ضفاف الأنهار، كالتفاح والكرز والبندق والتين والعنب (٣).

أما الأرض الزراعية فكانت ملكا للسلطان،وليست ملكا للفلاح ولا لصاحب الإقطاع، ولهما الحق فى الانتفاع بها بشكل مؤقت، وبالتالي كان على الفلاح أن يسلم عشر محاصيله لصاحب الإقطاع(٤)

وكانت الأرض عموماً تقسم من حيث الملكية إلى قسمين:أ – ميري : أملاك دولة .ب – أوقاف : أملاك تتبع

---

(١)محمد أنيس الدولة العثمانية والمشرق العربي ١٥١٤ – ١٩١٤، القاهرة، ١٩٧٧ ، ص ٦٤ – ٦٥.

(٢)فرنان بروديل : المرجع السابق، ص ١٢٥.

(٣)[illegible] 1986 VII P476

(٤)روبير مالتران وآخرون: المرجع السابق، ج ١، ص ١٨٤ – ١٨٨.

المنشآت دينية.وكانت أراضي الميري تقسم بدورها إلى قسمين:قسم عبارة عن أراضي تابعة للسلطان مباشرة (الأراضي السلطانية) .وقسم عبارة عن أراضى بمثابة إقطاعات حربية للمنح وللإقطاعات) (١)

كانت عطاءات الدولة العثمانية من الأراضى الزراعية لرجالها وفرسانها موقوف على حجم ما يقدمه صاحب الإقطاع من رجال وسلاح وعتاد حين الضرورة، وقد طبقت الدولة نظام الإقطاع الحربي نظرا لأن من مزاياه أنه يضمن زراعة الأرض من جهة، ويضمن حصولها – زمن الحرب – على قوات من الفرسان دون تكاليف تذكر، ولهذا طبق هذا النظام على الفرسان دون المشاة . (٢)

مورد الرعى وتربية المواشى:

وإلى جانب مورد الزراعة، وبحكم جغرافيتها الممتدة الواسعة كان مورد الرعى وتربية المواشي على أنواعها يمثل موردا ثانيا،حيث تتمركز في السهول والجبال والبوادي، وكانت مختلف مناطق الدولة ملائمة لمهنة تربية المواشى، فبجانب ما توفره من لحوم و ألبان كان لجلودها وصوفها وأوبارها دور مهم في اقتصاد الدولة، وكان من وبر ماعز الأنغورا، المشهور في الأناضول، يصنع منه صوف الموهير، حيث كان ذا شهرة عالمية . (٣)

مورد المنتجات الحرفية والصناعية :

أما المورد الثالث للدولة العثمانية بحكم جغرافيتها التى تمتد يوما بعد يوم تأتي المنتجات الحرفية والصناعية القائمة على المنتجات الزراعية وغيرها ،مثل الصابون والصباغة، ومحاصر الزيتون وبذور الكتان بالإضافة إلى ما تنتجه محارف صناعة الأقواس والسيوف والدروع، وما تنتجه محارف الصاغة والدباغة (٤).

، وأشهر المنتجات العثمانية ما كانت تنتجه محارف النسيج، حيث كانت تنتج المحامل والمقصبات والحرائر ، وبحكم جغرافيتها التى تمتد كانت حرائر بورصة ذات شهرة عالمية، وتليها في الشهرة ما تنتجه محارف حلب ودمشق والقاهرة واستانبول وأماسية وقسطموني، وتلي محارف النسيج في الشهرة محارف الخزف، التي اشتهرت بادي ذي بدء في مدينة أزنيك، ومن ثم انتقلت إلى كوتاهية (٥).

---

(١)محمد أنيس: الدولة الم العوم والمشرق العربي ١٥١٤٠ - ١٩١٤ القاهرة ١٩٧٧ص ٦٥

(٢)انظر : كرامرز، مادة ترك دائرة المعارف الإسلامية، ج ٥ ص ١٦٨

(٣)[illegible] P476

(٤)روبير مانتران وآخرون المرجع السابق، ١/ ١٨٠

(٥). روبير مانتران وآخرون المرجع السابق، ١/ ٣٣٠

مورد مناجم الفضة والنحاس:

كانت المناجم تشكل جزءاً مهماً من اقتصاد الدولة العثمانية وكانت منتشرة بها بحكم امتدادها الجغرافى،، فقد كانت مناجم الفضة تنتشر في كوموش خان الواقعة بين طرابزون وأرض روم، ومناجم النحاس في قسطموني وديار بكر (١) ، بالإضافة إلى مناجم أخرى منتشرة في البوسنة وصربيا وبلغاريا ومقدونيا . وكانت المناجم جزءاً من الأرض التي هي في الوقت ذاته جزءاً من أملاك السلطان، وكان استغلال المناجم، يتم بتعيين ملتزمين يعملون على استثمارها مقابل رسوم تحدد وفقاً لنوعية المعدن وإنتاجه (٢).

مورد إنتاج الحرير:

يعتبر الحرير من موارد الدولة العثمانية ،و كان إحدى أهم السلع المطلوبة في أوروبة، فهى السلعة المميزة التي حظيت بالرواج الكامل على المستويين الداخلي والخارجي، وقد اشتهرت مدينة بورصة بإنتاج الحرير، حيث ينتشر بها أشجار التوت التي تتغذى عليها دودة القز) (٣) إلا أن إنتاج المدينة وغيرها من المدن الأناضولية والشامية، لم يكن ليسد حاجة الدولة للحرير، مما جعلهم يعتمدون على الحرير المستورد، وخاصة من إيران (٤).

مورد الضرائب:

وهذا المورد عبارة عن مجموعة الضرائب التي تجبى من رعايا الدولة والتجار الأجانب الذين يعملون ضمن أراضيها، متمثلة هذه المجموعة فى الضرائب الزراعية وضرائب المحال وضرائب التجارة ضرائب التصاري والعوارض وهي ضرائب عارضية وعوائد المناجم وحاصلات بيت المال والغنائم والجزية .وذلك على النحو التالى:

- **الضرائب الزراعية** :تعتبر الضرائب الزراعية إحدى الإيرادات الرئيسية لخزينة الدولة حيث كان يؤخذ عشرها بشكل عيني أو نقدي تحت مصطلح خراجي مقاسمة ويتم تقديرها بواسطة جباة الضرائب،.مع تحصيل ضريبة زراعية تفرض على البساتين والكروم، وقيمتها غير ثابتة تزيد وتنقص حسب ما تعطيه من محاصيل (٥).

---

(١) Tekeli Ilber, Op. Cit, P.477

(٢)روبير مانتران واخرون المرجع السابق، ج ١، ص ٣٢٦ - ٣٢٧

(٣) Tekeli Ilber, Op. Cit, P.476

(٤) Tekeli Ilber, Op. Cit, P. 209 213

(٥)محمد أنيس،المرجع السابق ص٦٥.

- **ضرائب على الحيوانات وقطعان الماشية** : وهنالك ضرائب تؤخذ على الحيوانات وقطعان الماشية لاستفادتها من أراض للدولة، وهي غير ثابتة، وتخضع لتقديرات جباة الضرائب من بلد إلى آخر، ومن زمن إلى آخر (١).

- **ضرائب المحال**: تؤخذ ضرائب على محلات البقالة ومحلات العطارة ، والأفران والطواحين والحمامات والمحارف بأنواعها، والمنازل، وقد كانت تجبي على شكل رسوم سنوية وهي غير ثابتة (٢).

- **ضرائب التجارة** :وكان على رأس هذا النوع من الضرائب الرسم الجمركي الذي كان يتراوح بين ٣٪إلى ٤٪ على التجار المسلمين و ١ ٪على التجار النصارى وتضاف إليها ضريبة العبور – فيما يُسَمَّى (الترانزيت).

- **ضرائب النصاري**: وهذه الضريبة قديمة ترجع بتاريخها إلى العصور الإسلامية الأولى، كان يدفع هذه الضرائب الرعايا النصارى لخزينة الدولة، في كل عام مرة، مقابل حماية الدولة لهم ، يطلق عليها ضريبة الرأس ، بالإضافة إلى ضريبة يدفعونها النصرانى بدلا عن حق انتفاعه بالعقار أو الأرض ، يطلق عليها (سبجي) (٣).

- **ضرائب عارضية وتسمى العوارض**: تلجأ إليها الدولة عند الضيق، أو عندما تعجز عن مد نفقات عارضية، كنفقات حرب مثلاً، ففي هذه الأحوال يكلف بها معظم الناس ويستثنى منهم رجال الدين والأشراف، وتكون نقدية أى على كل خمس عوائل دينار واحد ،وعينية أى على شكل مقادير من الحبوب تقدر حسب الحالة الطارئة وأحياناً بدنية كخدمة التجديف في السفن مثلاً، حيث كان يؤخذ عن كل خمسين عائلة مجدف واحد (٤).

- **مورد عوائد المناجم** :

لقد كانت المناجم عموماً مِلكاً للسلطان، وعليه كان استغلالها يتم بواسطة ملتزمين يعملون على استثمارها مقابل رسوم تحدد وفقاً لنوعية المعدن وغنى المنجم وإنتاجه، وكان عمال المناجم يؤلفون فئة اجتماعية مهنية خاصة معفية من الضرائب على أنواعها (٥)

- **مورد حاصلات بيت المال**:

---

(١)روبير مانتران وآخرون المرجع السابق، ج ١، ص 320

(٢)محمد أنيس،المرجع السابق ص٩٥.

(٣)روبير مانتران وآخرون المرجع السابق، ج ١، ص ١٨٣ ، ١٨٥، ٣٦٣، ٣٦٥. وعبد الرؤوف سنو المرجع السابق، ص ١١٧

(٤)خليل ساحلي أوغلي : تغير طرق التجارة في القرن السابع عشر الميلادي والتنافس بين مينائي طرابلس والإسكندرونة، أبحاث المؤتمر الدولي الثاني التاريخ بلاد الشام دمشق ١٩٨٠، ص ٥٠٢ – ٥٠٣

(٥)روبير مانتران وآخرون المرجع السابق ، ج ١، ص ١٨٧ ، ١٨٨، ٣٢٦ ٣٢٧

وهي أموال من توفي ولم يعرف له وارث سواء كان من الخاصة أو ممن له أية علاقة بالدولة، من موظف أو ملتزم أو جندي أو سواهم، أو من يلوذ بهم من عامة الناس وكان يطلق عليها قبل الدولة العثمانية المواريث الحشرية (١)

-مورد الغنائم :

وهذا المورد يشكل إيراداً مهماً لخزينة الدولة،وهو مجموع ما تحصل عليه الدولة من صلاح وعناد ومؤن وأموال، إثر الحملات العسكرية والوقائع الحربية واستمر حتى النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي، لكنه بعد هذا التاريخ، لم يبق له ذكر، لتوقف العمليات العسكرية الحاسمة للصالح العثماني. (٢)

- مورد الجزية :

وهي ضريبة إسلامية قديمة، فرضها العثمانيون على الدول التابعة لهم، وكانت تؤخذ من حكام أرمينية وكرجستان والقوقاز في الشرق والحكام البلقانيين في الغرب (٣). وقد استمرت تدعم لخزينة الدولة إلى القرن السابع عشر الميلادي(٤)

ثانيا:نفقات ومصاريف الدولة العثمانية:

يتعين على خزينة الدولة العثمانية دفع نفقات ومصروفات فى وجوه متفرقةوهى متعددة أهمها:

- الرواتب : وكان يطلق عليها مواجب» أو علوفة وكان المقصود منها ما يؤدى للجند المشاة، حيث كانت تدفع لهم على حسب السنة القمرية، كل ثلاثة أشهر مرة ويدعى كل منها القسطأ، أما رواتب الموظفين في الديوان لكانت تؤدى شهريا، وتدعى ماعية» - (شهرية) (٥)

- مصاريف البلاط :

وقد تميز البلاط العثماني عموماً بالبذخ والإسراف، وامتص جزءاً كبيراً من خزينة الدولة، مما جعل بعض السلاطين يلجأ إلى بيع المناصب الكبرى التعزيز خزائنه (٦)

---

(١)خليل ساحلي أوغلي المرجع السابق، ص ٥٠٢

(٢)روبير مانتران وآخرون المرجع السابق، ج ١، ص ٣١٦

(٣)كلوس كريز و آخرون: معجم العالم الإسلامي، ترجمة: ج، كتورة، بيروت ١٩٩٦، من ١٢٤

(٤)روبير مانتران وأخرون المرجع السابق، ج ١، ص ٣٤٦

(٥)خليل ساحلي أو علي المرجع السابق، ص ٥٠٤.

(٦)محمد انيس المرجع السابق، ص ٩٦ - ٩٧

- **مصاريف الإعمار** : ويختص هذا الجانب، بإنشاء المباني الأميرية، وترميمها كالجسور والقلاع والحصون والطرق وكل مايعود على الدولة بالنفع العام (١).

- **المصاريف والنفقات العسكرية** :

وكانت على الدوام تستنزف خزينة الدولة لضخامتها وتعدد مستلزماتها، كون الدولة العثمانية، دولة عسكرية في المرتبة الأولى، وقد استلزم هذا الأمر إيجاد منشآت عسكرية كانت تعمل على الدوام في أوقات السلم والحرب ومن هذه المنشآت :

- أحواض بناء السفن.

- مسابك المدافع .

-مصانع الأسلحة النارية الخفيفة.

-مصانع الأسلحة التقليدية .

بالإضافة إلى ما تحتاجه الحملات العسكرية من مؤن ودواب الحمل العتاد وأدوات للحصار (٢).

.

(١)كلوس كريزو المرجع السابق، ص ٤٢٤

(٢)روبير مانتران وآخرون المرجع السابق، ج ١، ص ١٨٢

المبحث الثالث

التمدد الجغرافى وأثره على التطور الاقتصادى للدولة الصفوية

تظهرأهمية هذا المبحث من خلال بيان مدى انعكاس الامتداد الجغرافى للدولة الصفوية،على الموارد التى تصب فى خزينة الدولة ،المتمثلة فى الزراعة والرعى وتربية الماشية والمنتجات الحرفية والصناعية ،و **مورد مناجم الفضة والنحاس** وعوائدها ،ومجموعة الضرائب المتعددة والمتنوعة ،وعوائد المناجم وحاصلات بيت المال والغنائم والجزية،والكشف عن مصارف ونفقات الدولة المتمثلة فى الرواتب ومصاريف بلاط الدولة ومصاريف الإعمار والمصاريف والنفقات العسكرية .

الانطلاقة الاقتصادية الأولى للدولة الصفوية :

لم يكن الاقتصاد الصفوي وليد الفترة التي وجد فيها الشاه إسماعيل الأول مؤسس أسرة الشاهات الصفويين في إيران، بل يعود إلى عهد جده الأكبر صفي الدين الأردبيلي ١٢٥٣ – ١٣٣٤ م، كما تفيد الروايات أنه بعد أن أسس زاويته في أردبيل بقصد الإرشاد، قَدِمَتْ إليه أسرتان من كرمان لتحتكما في خصومة قامت بينهما، وحين تمكن الشيخ من الإصلاح بينهما أصبحوا من مريديه، وأخذنا ترسلان له في كل عام مبلغاً من المال، كان يعينه على سد نفقات زاويته . ثم أخذت ميزانية خانقاء الشيخ تكبر شيئاً فشيئاً، حتى غدا ما يقدمه للفقراء شئ كثير في كل يوم وليلة من إطعام الطعام . (١)

ومنذ بداية القرن الخامس عشر الميلادي وبالتحديد إلى عهد الشيخ علاء الدين علي ١٣٩٢ – ١٤٢٨م – حفيد الشيخ صفي الدين . استمر الأمر على هذا النهج ،حيث تحقق في عهده المسند الأرضي الأول، وذلك حين أقطع تيمور لنگ أردبيل و قراها وقصباتها وكافة الأراضي المتعلقة بها، بالإضافة إلى أراض في أذربيجان وعراق العجم للأسرة الصفوية، وجعلها وقفاً لزاويتهم.أى كل ما يأتى منها من أموال وخيرات ينفق عليها . (٢)
كانت هذه الإقطاعات بمثابة نواة ضخمة، سيستمر الاقتصاد عليها طويلاً من جهة. وتقوم عليه دولة من جهة ثانية سيكون لها الدور البارز في المسرح الدولي للأحداث.

---

(١)حسين بن بير وادة زاهدي سلسلة السبب صفوية ص ٣٨

(٢) والترهيندس: تشكيل دولت ملى ايران ترجمه كيكاوس جهانداری تهران ١٣٤٦ هـ ص ٥

محمد الثاني و استشعاره مدى أهمية المحاور الاقتصادية والاستراتيجية:

كان أول انعكاس ظهر لهذه الإقطاعات، بمشاركة العثمانيين وكان في عهد الشيخ جنيد بن إبراهيم : ١٤٤٧ – ١٤٦٠ م – حفيد الشيخ علاء الدين علي – الذي نظر إليها نظرة عملية لاستشعار القوة بنفسه. تم ما لبث أن أضاف إلى اسمه لقب سلطان ورحل إلى الأناضول والتخوم الشمالية لبلاد الشام، وأخذ يدعو القبائل التركمانية إلى طريقته التي مزج فيها التصوف بالتشيع ، (١) تأسيسا لما كان يرمي إليه في إنشاء دولة هادفا في الوقت ذاته إلى استقطاب من هم على عداء مع السلطنة العثمانية، أو من هم لم يشاركوا فى عملية الحكم، خصوصاً بعد أن أخذت السلطنة تفرض نفسها على التركمان بشدة، في عهد عاهلها محمد الثاني هذا عدا عن استشعاره مدى أهمية المحاور التي كانوا يسكنوها من الناحية الاقتصادية والاستراتيجية، وحين اكتشف أمره ترك التخوم الشمالية لبلاد الشام، ورحل إلى ديار بكر وفيها وتق علاقته بالسلطان أوزون حسن ١٤٣٨ – ١٤٦٧ م – مؤسس أسرة الآق قويونلو التي حكمت إيران والعراق – بعد أن تزوج من أخته (٢) – مستفيداً من العداء المستحكم بين دولة الآق قويونلو والدولة العثمانية (٣)، وما تؤمنه له هذه المصاهرة من حماية لتحقيق ما يرنو إليه، وحالما تم له إعداد مريديه في تنظيم شبه عسكري ، وجد أن الوقت قد حان للتوسع والامتداد، بعد أن امتلك المقومات الاقتصادية والبشرية وحتى السياسية فجمع جنده ومريديه واندفع بهم سنة ١٤٦٠م إلى منطقة شيروان، لكن حاكمها تصدى له وصرعه في أرض المعركة (٤).

وهنا سؤال يطرح نفسه : مالأسباب التي جعلت "سلطان جنيد» يهاجم منطقة شيروان دون غيرها من المدن ؟

لعل من الأسباب التي جعلت سلطان جنيد» يهاجم منطقة شيروان أنه وجد نفسه محاطاً بأملاك الدولة الآق قويونلية التي يحكمها أخو زوجته " أوزون حسن " ولا يوجد أي مسوغ للصدام معه بأية صورة كانت، كما أنه وجد من خلال جولته في الأناضول والتخوم الشمالية لبلاد الشام، أن لا طاقة له على مقارعة الدولتين العثمانية

(١)رضي الدين محمد بن إبراهيم الحنبلي: در الحبب في تاريخ أعيان حلب، دمشق ١٩٧٢، ج ٢، ق ١ص ٢٣١

(٢)مريم مير أحمدى دين و دولت در عصر صفوى ،تهران ١٣٧١ هـ ص٤٥

(٣)حول الخلاف بين دولة الآني قويونلو والدولة العثمانية انظر محمد فريد بك المحامي المرجع السابق، ص ١٧٥ – ١٧٧

(٤)عالم آراي صفوي ص٢٩ .كارل بروكلمان المرجع السابق ص ٤٩

والمملوكية، فكان أن رأى في شيروان ضالته المنشودة، لقربها من أردبيل من جهة، ومن جهة ثانية أنها الأضعف بالنسبة للدول المحيطة به.

بعد مصرع "سلطان جنيد "خلفه ابنه " سلطان حيدر" ١٤٦٠_ ١٤٨٨م ،فأعد جيشا من مريديه،أطلق عليه فيما بعد اسم "قزلباش" أى "حمر الرؤوس" نسبو لشعار الرأس الذى اختاره لهم وهاجم منطقة شيروان لكنه لاقى المصير الذى لاقاه أبوه من قبل. (١)

اختلافات أفراد البيت المالك وانعكاساتها على البلاد من الناحية الاقتصادية:

إن الأساس الثابت والمتين الذي وضحته هذه الأسرة من الناحية الاقتصادية والسياسية، لم يتخلخل بموت سلطان حيدر سنة ١٤٨٨ م، لأنه قبل هذا التاريخ بعام واحد كان قد ولد لهذا الشيخ من سيقدر له تحقيق حلم الأسرة في تأسيس الدولة (٢) ، حيث خانقاء أسرته استمرت تستقطب أفئدة التركمان في أذربيجان وبعض نواحي الأناضول والتخوم الشمالية لبلاد الشام، وكذلك استمرت إقطاعاتها تؤمِّن الأرضية اللازمة لقيام الدولة. والذي زاد من أهمية الخانقاء، على الرغم من الفراغ المؤقت الذي منيت به رينما يصبح وريثها في وضع يؤهله لرئاسة مقامها، هو أن إيران، في ظل حكم أسرة الآق قويونلو ماجت في فوضى رهيبة كان سببها المباشر اختلاف أفراد البيت المالك فيما بينهم. (٣)

انعكست سلباً على البلاد من الناحية الاقتصادية فنتج عن انعدام الأمن ضعفاً ظاهراً في استغلال الثروة الزراعية، كما توقفت الأعمال التجارية لانعدام الأمن على الطريق الدولي – طريق الحرير (٤).

اتحاد زعماء القزلباش لتحقيق طموحاتهم وآمالهم والسيطرة على الوضع الراهن:

دعت الضرورة إلى إيجاد قوة مركزية، تسيطر على البلاد، وتضع حداً لهذه الفوضى، فاتحد زعماء القزلباش فيما بينهم، وجعلوا من إسماعيل ميرزا – ابن شيخهم – المحور الذي تدور حوله طموحاتهم وآمالهم، في تأسيس قوة تسيطر على الوضع الراهن وتؤمن نوعاً من الاستقرار لإنهاء الفوضى في البلاد،وكانت الخطوة الأولى لهؤلاء

---

(١)عالم آراي صفوي ص ٣٠ كامل مصطفى الشيبي: الطريقة الصفوية ورواسيها في العراق، بغداد١٩٦٧م،ص١٥.

(٢)سيد حسن بن مرتضى حسينى استرآبادي از شخ صفي ناشاء صفي ، تحقيق إحسان إشراقي، تهران (د.ت)ص ٣٢.

(٣)عباس العزلوي: تاريخ العراق بين الاحتلالين، قم، ١٤١٠ هـ. عشائر العراق، بغداد، ١٩٤٧، ج ٣ ص 288 – ٢٩٨ نظام الدين مجير شيباتي :نظام الدين تشكيل شاهنشاهي صفوية وأحياء وحدت ملي، تهران ١٣٤٦ هـ ص ٢٣.

(٤)باستاني باريري: سياست و اقتصاد عصر صفوى، تهران، ١٣٦٧ ص ١٨.

الزعماء، أن ذهبوا إلى كيلان سنة ١٤٩٩ م وحملوا ابن شيخهم – الذي لم يتجاوز حتى ذلك الحين الثانية عشر من عمره (١).

– وساروا به صوب أردبيل مقر مشيخة آبائه وأجداده، وكانوا كلما يصلون إلى منطقة يجمعون أنصار الأسرة و مريديها، إلى أن وصلوا إلى أردبيل (٢). وفيها أعدوا العدة واجتاحوا شيروان ١٥٠١ م بعد أن هزموا حاكمها، فتحقق لهم في عهد إسماعيل ما لم يتحقق في عهد أبيه وجده (٣).

وقد نتج عن هذه الموقعة زيادة التمدد الجغرافى ،و كبرت الأمال لدى زعماء القزلباش، وازدادت ثقة المريدين بالأسرة الصفوية. وما أن أعلنت الحرب ضد دولة الآق قويونلو، التي ساندت حاكم شيروان في حربه الأخيرة، حتى اجتمع من مقاتلي القزلباش عدد كبير، شكلوا قوة لا بأس بها، استطاعت أن تلحق بجيش الآق قويونلو هزيمة نكراء (٤) أسفرت عن دخول القزلباش إلى تبريز – عاصمة الدولة الآق قويونلية – وانتهاء نفوذ الآق قويونلو عموماً في أذربيجان وذلك بعد الإعلان عن قيام الدولة الصفوية إثر تتويج إسماعيل ميرزا شاهاً على البلاد . (٥)

زيادة التمدد الجغرافى وسيطرت الدولة الصفوية على طريق الحرير :

اتسع التمدد الجغرافى بسقوط تبريز على هذا النحو وضعت الدولة الصفوية يدها على أهم النقاط الاستراتيجية فى طريق الحرير هذه المحطة والعقدة المواصلاتية في آن معاً، كانت الأبعد أثراً في الناحية الاقتصادية، لا بل المرتكز الذي سيتسع حوله الاقتصاد الصغري في عهد الشاء إسماعيل الأول.

من هذا المنطلق زاد التمدد الجغرافى وأخذ زعماء القزلباش ومن خلفهم الشاه إسماعيل يوسعون من نطاق الدولة الاقتصادي عبر امتداداتهم الجغرافية، كلما سنحت لهم الفرصة، حيث أنهم اصطدموا مع فلول الآق قويونلو في

---

(١)سيد حسن بن مرتضى حسيني استرآبادي المصدر السابق، ص ٣٢.

(٢)حسن بيگ احسن التواريخ به كوشش: عبد الحسين نواتي، تهران، ١٣٧١ هـ ، ص ٣٥

(٣)مجهول :عالم آراي صفوي، تهران ١٣٥٠ هـ ص ٥٧

(٤)S. Yes Aisyo Pesiadh 1963. P.159.

(٥)عباس إقبال اشتياني: المرجع السابق، ص ٦٣٧ ، ٦٤٠، ٦٤١

همدان ١٥٠٣ م وهزموهم (١).، قال إقليم فارس إلى ممتلكات دولتهم، وبين عامي ١٥٠٤ – ١٥٠٧ م اجتاحوا أقاليم كرمان و عراق العجم و مازندران (٢) .ثم اجتاحوا ديار بكر (٣)ذات الموقع الاستراتيجي، وزاد التمدد الجغرافى فتسنى لهؤلاء كسب محور من أكثر المحاور خطورة على الطريق الدولي (ديار بكر – تبريز) عدا عن أن هذه الحملة جعلت الدولة الصفوية على تماس مباشر مع أكبر قوتين في الشرق الأدنى آنذاك المماليك العثمانيين، فقد كانت القوى الصفوية ممثلة بالزعماء القزلباش والشاء في آن معاً، نعي أهمية المحور الذي استولت عليه، فراح الشاء يراسل القوى الأوروبية ليعقد معها تحالفاً ضد المماليك والعثمانيين لكن هذه المحاولة باءت بالفشل لبعد إيران النسبي عن القوى الأوروبية الفاعلة آنذاك (٤) .. وتحاشياً منه في الاصطدام مع إحدى القوتين ترك الشاه إسماعيل قائده محمد خان استاجلوه – أحد أبرز رجاله – في ديار بكر، وغادرها متوجهاً إلى العراق (٥). تحدوه عوامل عدة أهمها :

١ – العامل السياسي وجوب تصفية آخر جيوب الآق قويونلو في العراق لإنهاء دولتهم فيه.

٢ – العامل الاستراتيجي كون العراق ومدنه الرئيسية (الموصل، بغداد البصرة) تمثل عقد مواصلات هامة، يتم من خلالها ربط إيران ببلاد الشام اللصيقة بالبحر المتوسط التأمين أقصر الطرق التي تربط تبريز بالمتوسط، كما أن العراق يمثل بعداً آخر للطريق الثالث العامودي الذي يربط الهند بالشرق الأدنى عبر الخليج العربي الفارسي (6) (6)

٣–العامل الاقتصادي خصوية أراضي العراق الزراعية، وحجم إيراداتها التي يمكن أن تؤمن له دخلاً جيداً لاستمرار دولته وطموحاتها .

٤ – العامل الإيديولوجي: كون العراق يشتمل على معظم العتبات المقدسة عند رعاياه الشيعة .

---

(١)سيد حسن بن مرتضى حسيني استرآبادي المصدر السابق، ص ٣٦–٣٧

(٢)مريم مير أحمدى:تاريخ سياسى واجتماع إيران در عصر صفوى،ص ٤٧–٤٨.

(٣)نظام الدين مجير شيباني المرجع السابق، 107 – 108

(٤)عبد العزيز نوار :تاريخ الشعوب الإسلاميةفى العصر الحديث، بيروت، ١٩٧١ تاريخ العراق الحديث، بيروت، د. ت ص ٢٨

(٥)البدليسي شرف خان (ت) ١٠٠٥ هـ): شرف نامه البدليسي، ترجمة محمد علي العوني ويحيى الخشاب، مصر، د. ت.، ج ٢، ص ١٢٧

(٦)محمد سهيل طقوش العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، بيروت، ١٩٩٥، ص ١٣٩، وعبد العزيز نوار المرجع السابق، 28

ه- العامل الاعتباري ما سيتاله من مكانة رقيعة من جراء استيلائه على عاصمة الدولة العباسية، ذات التأثير العميق على وجدان المسلمين (١).

ومما زاد فى التمدد الجغرافى اجتياح جيش القزلباش بغداد ١٩٠٨م، ثم دخلها الشاء حيث سكت النقود باسمه، كما خطب له على المنابر تعبيراً عن ضمها إلى دولته (٢)، ثم غادرها إلى الحويزة – حاضرة خوزستان – (عربستان) ذات المنافذ المهمة على الخليج العربي الفارسي واستخلصها من يد حكامها المشعشعيين . (٣)، فأكمل بذلك سيطرته على معظم السواحل الشرقية للخليج.وفي سنة ١٥١٠ م اشتبكت القوات الصفرية بقيادة الشاه إسماعيل مع القوات الأوزبكية بقيادة محمد شيبك خانه في مدينة مرو على مداخل إقليم خراسان هزم الأوزبك على إثرها بعد أن سقط خانهم صريعاً بأرض المعركة ،(٤) فتمت بذلك للقوات الصفوية السيطرة على جميع أنحاء الهضبة الإيرانية.فدانت له في الوقت ذاته جميع المدن الواقعة على طريق الحرير من مرو إلى ديار بكر.

لكن هذا الاندفاع المشير للقوات الصفوية سرعان ما وضع له السلطان سليم الأول جداً قاسيا، وذلك حين هاجم الدولة الصفوية في عقر دارها واستولى على عاصمتهاسة ١٥١٤ م(٥)بعد أن هزم الشاء وقواته في سهل بالديران، وكان عالمه إلى ذلك، أنه أمن بخطورة الحملات الصفوية التي تستهدف المناطق الاستراتيجية فلجأ إلى كسر حدثها بادى، البدء بأن فرض على التجارة الإيرانية حصاراً صارماً (٦)ثم المعلقها بتغييرات أمنية التي فيها على كافة أنصار الشاء في الأناضول (٧)، فيطلق من جراء ذلك نتائج مذهلة في اجتياحه المذكور.

وفي السنة التي تلتها اجتاحت قواته ديار بكر، فحرمت ايران من المحور التجاري الهام الذي يربطها بالأناضول، الذي أدى إلى خنق الاقتصاد الصفوي المعتمد على أسواق بورصة وحلب. وقد نتج عن الحصار الذي فرضه السلطان في تلك الأونة، أن القطعت التجارة على هذا المحور، وشكل كارثة ليس على التجار الإيرانيين فحسب،

---

(١)عبد العزيز نوار المرجع السابق، ص٢٩

(٢) عباس العزاوي المرجع السابق ، ج ٣، ص ٣٤٦

(٣)عالم آراي صفري ص ١٢٣، سيد حسن بن مرتضى حسيني استرآبادي : المصدر السابق، ص٤٢

(٤)لمزيد من التفصيل انظر ألومينوس فامبري المرجع السابق، ص ٢١٦٠٣١٤٠٣٠٥ ٢٢١ ٣٢٠

(٥)سيار الجميل : العثمانيون وتكوين العرب الحديث، بيروت، ١٩٨٩، ص ٢٢٥

(٦)وجيه كوثراني : تعقيب على محاضرتي العلاقات التاريخية بين العرب والإيرانيين لعبد العزيز الدوري وأحمد لواساني العلاقات العربية – الإيرانية الاتجاهات الراهنة وأفاق المستقبل مركز دراسات الوحدة العربية، ص ٩٥

(٧)عامر: المصدر السابق، ج ١، ص ٨٣٣

بل على التجار العثمانيين أيضا . (١) ولكي ينظف الشاء إسماعيل من حدة هذا الحصار، عقد حلفاً مع البرتغاليين أكد فيه سبل التعاون التجاري والعسكري بين الطرفين (٢).

لكن الضربة القاسية التي تلقتها الدولة الصفوية، أنت حين ألحق السلطان سليمان القانوني العراق إلى ممتلكات دولته، بعد أن أعاد الاستيلاء على تبريز سنة ١٥٣٤ م(٣)، مما أدى إلى تخلخل الوضع الاقتصادي في الدولة الصفوية، في عهد عاملها طهماسب الأول ١٥٢٤ – ١٥٧٦ م، حيث لم ينقذه إلى حد ما سوى صلح أماسية الذي عقد بين الطرفين سنة ١٥٥٥ م(٤)، ثم ما لبث أن انتعش في عهد الشاه عباس الأول ١٥٨٧ – ١٦٢٨ م ليمثل مرحلة الذروة ليس من الناحية الاقتصادية فحسب، بل من الناحية السياسية والاستراتيجية. وقد كانت أولى أعماله على المستوى الاستراتيجي استعادته إقليم خراسان من يد الأوزبك سنة ١٥٩٧ م (٥)فأمن بذلك الطريق الدولي الذي يربط خراسان بعراق العجم وأذربيجان.

وفي الأعوام التالية لهذا التاريخ، تمكن أحد أبرز رجالاته "الله وردي خان" من الاستيلاء على البحرين سنة ١٦٠٠ م بمساندة السفن البرتغالية، التكسبت الدولة الصفوية نقطة استراتيجية على الطرف الغربي للخليج العربي الفارسي، وحين بدأ نجم البرتغاليين بالأفول، أخذ هذا القائد يعمل جاهداً على إنهاء النفوذ البرتغالي على الشواطيء الإيرانية حتى تم له ذلك (٦) ، مما مكن المتاجر الإيرانية وعلى الخصوص الحرير من أن ترسل إلى ميناه ميناه هرمز أو كمبرون، ومنهما يحملها التجار الأوروبيون إلى بلداتهم (٧) دون الاعتماد على الوساطة العثمانية، الأمر الذي دفع التجارة الصفوية إلى الأمام، ووجه ضربة لا يستهان بها للتجارة العثمانية في وقت واحد.

---

(١)روبير مالتران وآخرون المرجع السابق، ج ١، ص ٢١٦

(٢)نصر الله فلسفي إيران وعلاقاتها الخارجية في العصر الصفوي، ترجمة: محمد فتحي الريس، القاهرة، ١٩٨٩ ص١٤ – ١٥

(٣)سيد محمد السيد المرجع السابق، ص ٨٤

(٤) [illegible] 1986 VIII. P.15

(٥) [illegible] 1922. P.174

(٦)مريم مير أحمدي المرجع السابق، من ٧٩

(٧) [illegible] 1986 VIII. P.214

رحين تم الصفويين الاستيلاء على العراق سنة ١٦٢٤ م تحلق للاقتصاد الصفري ازدهار لم يتحقق حتى في فروة عهد الشاء إسماعيل الأول، فعدا عن موارد العراق الزراعية، فقد كانت تمتلك محطات على الطريق الدولية تجعل إيران على تماس مباشر مع بلاد الشام وبالتالي مع البحر المتوسط (١).

، وهنا يخلص "أولسن" عبر المشاهد المتنوعة التاريخ العراق وإيران لأن يقول: لقد استمر معي الفرس للاستيلاء

على حلب، مدة مئة وسبعة عشرة عاماً أخرى، وذلك أن الذي يتحكم في حلب وبغداد يتحكم في النسبة الكبرى من تجارة المحيط الهندي التي تستعمل اليابسة (٢).

ومما جعل الاقتصاد الصفوي يتفوق في تلك الفترة، يرجع إلى تدابير الأمن الاقتصادي – إذا صح إطلاق هذه العبارة في هذا المجال – التي اتخذها الشاء عباس للحفاظ على قوة اقتصاده الداخلي وثباته، كانت ذات حدين، فحين أصدر فرمانه يمنع خروج المعادن الثمينة والمسكوكات من دولته هدف إلى الاستزادة من هذه المعادن على الدوام وعدم الانخراط في الأزمة التي أثارتها الفضة القادمة من العالم الجديد (٣).

ثم توج هذه التدابير بأن أصدر فرماناته الدولية، فيما يخص التجار الأوروبيين، والتي حدد بموجبها بيع الحرير الإيراني لهم مباشرة من مينائي هرمز وكميرون، هادفاً إلى تسهيل وتسريع المعاملات التجارية ضمن حدود دولته بالدرجة الأولى، وإلى عدم تمكين العثمانيين من لعب دور الوسيط الحريره على مستوى الحكومة والشعب، فوجه إلى الاقتصاد العثماني ضربة أخرى على ما كان ينتابه من أزمات (٤)

---

(١)عبد العزيز نوار : الصراع العثماني الفارسي والعلاقات الفارسية العربية ، بيروت (د.ت)ص ٥٠.

(٢)وجبه كوثراني : موقع العلاقات العربية التركية في إطار العالم الإسلامي العلاقات العربية التركية حوار مستقبلي مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٦ ص ٩٥

(٣)باستاني باريزي المرجع السابق، ص ١٨٩

(٤)سيد محمد السيد المرجع السابق، ص ٩٨

المبحث الرابع

التمدد الجغرافى وأثره على موارد ونفقات الدولة الصفوية

تكمن أهمية هذا المبحث فى الكشف عن مدى انعكاس الامتداد الجغرافى للدولة الصفوية ،على الموارد التى تصب فى خزينة الدولة ،المتمثلة فى الثروة الزراعية والثروة الحيوانية والمنتجات الحرفية والصناعية ومنتجات المناجم المتعددة،ومجموع الضرائب – كالضرائب التجارية و المصادرات والضرائب المتفرقة والجزية .والكشف عن مصارف ونفقات الدولة المتمثلة فى الرواتب ومصاريف البلاط والمصاريف العمرانية والنفقات العسكرية .

يجدر بنا النظر أيضاً إلى موارد الاقتصاد الداخلي للدولة، لاستلهام الدور الذي لعبه في استمراريتها، حيث كانت الموارد متنوعة ومتعددة أهمها :

أولا:موارد الدولة الصفوية:

مورد الثروة الزراعية : الموارد الزراعية متنوعة بسبب أن الهضبة الإيرانية بوجود أشكال تضاريسية ومناخية متباينة من سهول وهضاب و سهوب و صحارى وجبال ، فقد كانت زراعة الحبوب تلبي الاحتياجات الداخلية للبلاد لا بل كانت تزيد، وتصدر أحياناً إلى ديار بكر وغيرها من البلاد (١) وتأتى شجرة النخيل على رأس الأشجار المثمرة المتنوعة التي تتواجد بكثرة في إقليم خوزستان على أطراف الصحارى في الواحات، وكان لعظم شأن هذه الشجرة، أن فرض الشاهات ضريبة حددت به شاهي – نوع من العملات الإيرانية الفضية –واحد عن كل شجرة منها، وكان لزراعة القطن أهمية خاصة لدى أركان الدولة الصفوية. فهي من جهة تزود المحارف النسيجية بالمواد الأولية، ومن جهة أخرى تدر دخلاً لخزينةالدولة قدرت بثلث الإنتاج، وبالإضافة إلى المزروعات فقد أولت الدولة الصفوية اهتماماً خاصاً بالغابات، جعلت في عهد الشاء عباس الأول ملكاً ملكياً خالصاً، وأي اعتداء عليها يعرض صاحبه إلى عقوبة الإعدام (٢).

ب – مورد الثروة الحيوانية: تمتلك الدولة الصفوية ثروة حيوانية ضخمة من أغنام وماعز وجمال (3) بحكم طبيعتها الجغرافية ، فعدا عما توفره للحواضر من لحوم وألبان ،وكان لجلودها وصوفها ووبرها دور هام في

---

(١)باستاني باريزي المرجع السابق، ص ١٣٠

(٢)باستاني باريزي المرجع السابق ص ٧٨

(٣)Tadeusz Lewicki, 1995. VII P.773

الصناعات النسيجية التي كانت تستأثر بها المناطق الباردة في البلاد، وقد لاحظ الرحالة الأوروبي شاردن ضخامة قطعان الماشية المتعلقة بالقصر، وقدر المساحة التي تتجمع فيها هذه القطعان يستلزم قطعها ثلاث ساعات . (١)

ج – مورد المنتجات الحرفية والصناعية : إن التمدد الجغرافى جعل إيران تحقق في العهد الصفوي مجموعة من المنتجات الحرفية وتميزت فيها ، واستأثرت باهتمام الناس عموماً، وطفت على غيرها وهذه المنتجات هي:

منتجات التحرير والصوف والقطن ومنسوجاتها : تعود شهرة إيران في إنتاج الحرير إلى القرون الوسطى، وقد ازدهر ازدهاراً ملحوظاً في عهد الشاء عباس الأول، حيث كان ينتج في معظم المناطق الإيرانية، وعلى الخصوص في (گيلان مازندران شيروان) ومنها يتم جمعه في سلطانية أو تبريز لينقل إلى مينائي هرمز أو كميرون (٢). وكانت شركة الهند الشرقية الإنكليزية تستأثر بمعظم الإنتاج الإيراني من هذه السلعة كتعويض لها عما خسرته في تجارة التوابل التي هيمنت عليها شركة الهند الشرقية الهولندية (٣).مع النظر بعين الاعتبار إلى أن قسماً منه كان يحمله التجار الإيرانيون لبيعه في مختلف الجهات، حيث كان يذهب إلى الأراضي العثمانية زمن الاستقرار السياسي والعسكري بينهما، عقب معاهدات الصلح (٤).

وعندما أحكم الشاء عباس احتكاره لهذه المادة ووصل إنتاج الحرير إلى ذروته وقدر بألفين ومئتين حمل في السنة الحمل يساوي مئة وعشرة كيلو غرامات) (٥) كان معظمه يصل إلى أوروبا، دون أن يخضع للوساطة العثمانية، وفي السنة التي تلت وفاة الشاء عباس، وصل إنتاج الحرير إلى ألف طن، وصدر ثلثاء إلى أوروبة مباشرة وكان يصدر عن مقاطعة كيلان وحدها نصف الإنتاج الإجمالي لإيران (٦).

وهنا يمكن القول أن القرن السابع عشر الميلادي، كان من كل النواحي من أهم الفترات في تاريخ إنتاج الحرير، لكن هذا الازدهار أخذ يتراجع مع الانهيارات السياسية التي عصفت بالبلاد بعد ذلك، حيث أنه في سنة ١٧٤٠ م، أي بعد سقوط الدولة الصفوية بعدة سنوات، انخفض إنتاج مقاطعة كيلان ليصل إلى مئة وستين طن على مدار

---

(١)**باستاني باريزي المرجع السابق، ص ٧٧**

(٢)**Encyclopaedia of Islam, 1986, Vol III, P.209**

(٣)عبد الأمير محمد أمين : دراسات في النشاط التجاري والسياسي الأوروبي، عمان ١٩٨٧، ص ١٢

(٤)**Encyclopaedia of Islam, 1986, Vol VI, P.27**

(٥)باستاني باريزي المرجع السابق، ص ١١٦

(٦)**Encyclopaedia of Islam, 1980, Vol III, P.210**

السنة، بينما تربية دودة القز توقفت تماماً في شيروان (١) لمرض ألم بها .

أما بالنسبة للمنتجات الصوفية، وعلى الخصوص المعتمدة على وير الجمال، فكانت من السلع القابلة للاتجار لنفاستها ، لكنها لم تكن تكفي حاجة الاستهلاك المحلي لمناخ إيران البارد في الشمال، الأمر الذي جعل إيران تستورده من الخارج، وجعل المنسوجات الصوفية الإنكليزية تلقى رواجاً في إيران عوضت الإنكليز من الخيبة التي واجهتها في الهند (٢). وأخيراً، كانت المنتجات القطنية ومنسوجاتها تلبي الاحتياجات الداخلية للبلاد وتستأثر باهتمام الحكومة عموما ، تماماً كما استأثرته المنتوجات الحريرية.

السجاد : لقد نمت صناعة السجاد في إيران نمواً كبيراً في العهد الصفوي، وبلغت ذروتها صناعة وفناً في عهد الشاه عباس الأول، لما كانت تدره من دخل على المستويين الحكومي والشعبي وكان السجاد الإيراني يصدر إلى الهند والمستعمرات البرتغالية في جوا وأندونيسيا، كما كان يصدر إلى أوروبة بواسطة شركة الهند الشرقية الهولندية، وقد وصل قسم منه إلى أسواق هولندا ولندن (٣).

د- مورد منتجات المناجم: تعددت المناجم في الهضبة الإيرانية في العهد الصفوي كما تعددت معادنها، حيث اشتهر من معادنها الفولاذ والنحاس والرصاص وكانت تستخرج من مازندران و كرمان ويزد.

كما كانت توجد مقالع للفيروز في نيسابور، وكان الشاهات يولونها أهمية خاصة لما تدره على خزينة الدولة من أموال وأخيراً، كانت مقالع الرخام في تبريز، التي نالت شهرة كبيرة، تعتبر من روافد خزينة الدولة المهمة) .

أما فيما يتعلق بحصة خزينة الدولة من هذه المنتجات، وما كان يتوجب عليها من نفقات، فكان على النحو التالي :

-**مجموع الضرائب** التي تجبى من رعايا الدولة والتجار الأجانب، عن موارد مختلفة، وهي على أنواع:

الضرائب الزراعية: كانت الأراضي في الدولة الصفوية تقسم إلى خمسة اقسام، أربعة منها تدر دخلاً على خزينة

الدولة، والقسم الخامس يطلق عليه اسم موقوفات - (الأوقاف) وتختص بها المباني الدينية من جوامع ومساجد ومزارات ومدارس دينية.

---

(١) Encyclopaedia of Islam 1986. VIII. P.211

(٢)باستاني باريوي المرجع السابق، ص ١٣٠ ١٣١٠

(٣)باستاني باريزي المرجع السابق، ص ٧٨

أما الأقسام الأربعة الباقية، فكان أبرزها الأملاك الخاصة التي تخص الشاء والأسرة الصفوية المالكة، ويتم تأجيرها إلى أشخاص معينين مقابل ثلث ما نتجه (١)، ويليها إقطاع أصغر من السابق يطلق عليه سيور غال ويختص به كبار رجال الدولة من المتنفذين ورجال الدين، وكان يورث من جيل إلى جيل، وينزع عن القطع له وقت يشاء الشاء.ويليه إقطاع أصغر من سابقه يطلق عليه اسم تبول» يمنح الموظفي الدولة بشكل مؤقت على شكل رواتب سنوية. وأخيراً يبقى القسم الرابع الذي يطلق عليه اسم أراضي ممالك، فقد كان يمنح للحكام المحليين، حيث تصرف عائداته على موظفي الدوائر المحلية وفرسانها (٢). وتلحق بهذه الضرائب الضرائب التي تدفع على الماشية، وكان ثلث صوفها وما في بطونها يذهب إلى خزينة الدولة .

ب – **الضرائب التجارية** : كانت الجمارك إحدى أهم موارد الدولة في العهد الصفوي وكانت تتراوح في موانى الخليج بين ٤٪ إلى ٣١٦، وحين اشترك الإنكليز مع الصفويين في السيادة على الخليج، أعفي التجار الإنكليز من الضرائب، لا بل غدا الشركة الهند الشرقية الإنكليزية نصيب وافر من هذه الواردات (٣).

وإلى جانب الجمارك، كانت ضرائب العبور – الترانزيت) تدفع مقابل الحفاظ على الأمن في الطرق والمحاور الدولية، التي تخترق الأراضي الإيرانية (٤) .

ج – **المصادرات** :كانت الأملاك والأموال المصادرة من كبار المتنفذين المحليين من أبرز عائدات الخزينة في الدولة الصفوية، وقد رافقت الدولة منذ عهد الشاه إسماعيل وحتى سقوطها، حيث تؤخذ على شكل ضرائب عارضة الأسباب متعددة (٥)، حتى أن الشاء عباس الأول ما كان يستطيع فرض حكمه المركزي، ويقوي البنية الاقتصادية لدولته لو لم يعتمد اعتماداً كلياً على هذا النوع من الضرائب) . (٦)

د – **الضرائب المتفرقة** وكانت تفرض على محال البقاليات والعطارة والمحارف بأنواعها والحمامات والأفران والمنازل، وكان لكل حرفة غربية معينة تزيد، وتنقص، حسب ما يحددها رجالات الدولة في عهد كل شاه (١).

---

(١)باستاني باريزي المرجع السابق، ص ٧٨

(٢)باستاني باريزي المرجع السابق، ص٦٩ ،٧٢ ، ٧٧.

(٣)Tehrani Iran. 1995. VVI. P.772

(٤)باستاني باريزي المرجع السابق، ص ١٠٩

(٥)نصر الله فلسفى :زندگانى شاه عباس أول، تهران، ١٣٥٨ هـ، ج ١، ص ٢٧٢

(٦)باستاني باريزي المرجع السابق، ص ٨٠ – ٨١

هـ- **الجزية**: وكانت تؤخذ من النصارى وقد الخلقت ليمتها من عهد إلى عهد لكن الثابت فيها أن ضريبة البالغين كانت ضعف القاصرين (٢) .

ثانيا:نفقات ومصاريف الدولة الصفوية:

يتعين على خزينة الدولة الصفوية دفع نفقات ومصروفات فى وجوه متفرقةوهى متعددة أهمها:

وهو مجموع المصاريف التي يتعين على خزينة الدولة عضها تبعاً لمستلزماتها، في وجوه متفرقة، وهي متعددة منها :

١- **الرواتب** وكانت تدفع سنوياً بشكل نقدي أو بطريق الحوالات الأركان الدولة (حاشية، قادة الجيش الجند الأطباء المنجمين إلا أنها في حالات ضعف السلطة المركزية، كان يعتريها شيء من الفساد فقد كان الجنود – على سبيل المثال – في عهد الشاء عباس الثاني ١٦٤٢ – ١٦٦٦ م يأخذون الحوالات ولا يستطيعون تحصيلها، إلا بعد أن يدفعوا ربع قيمتها للجبياة على شكل رشاوي (٣).

ب مصاريف البلاط وكانت تتضمن نفقات القصر وسائر العمائر الملكية وما يجلب للأسرة المالكة من نفائس المنسوجات والألبسة والتحف والجواهر، وما يحتاجه المطبخ الملكي من مأكولات ومشروبات، وما ينفقه الشاهات في المناسبات والأعياد، وما يمنحونه من هبات (٤).

ج – المصاريف العمرانية: وتصرف في إنشاء المباني ذات المنفعة العامة كالجسور والسدود والساحات الكبرى والطرق والسيل وقبور الأئمة وأبنائهم وقبور الأسرة الصفوية وما إلى ذلك من عمائر (٥).

د – النفقات العسكرية كانت هذه النفقات، قبل عهد الشاء عباس الأول تنحصر في إعداد الحملات العسكرية وما تحتاجه من مؤن وعتاد ودواب للحمل، لأن الحروب كانت وقتذاك تعتمد على الأسلحة التقليدية (سيوف، رماح، بلطات، فؤوس ...)، لكنه في عهد الشاء عباس الأول اختلف الأمر تماماً، ففي عهده أنشئت مسابك المدافع، ومصانع الأسلحة النارية الخفيفة، واستحدثت فرق جديدة من الجيش (شاهسون) استقدمت من

---

(١)باستاني باريزي المرجع السابق، ص ١٥٢ -١٥٤

(٢)باستاني باريزي: المرجع السابق، ص ٢٦٨

(٣)مريم مير أحمدي تاريخ سياسى و اجتماعى در عصر صفوى، ص ١١٢

(٤)باستاني باريزي المرجع السابق، ص ٢٠٦ – ٢١٠

(٥)باستاني باريزي المرجع السابق، ص ١٠٠، ١٦٧ ١٨٠

أرمينيا وكرجستان بعد أن تخلى الشاء عن مخدمات أعداد كبيرة من الجنود القزلباش، وقد استلزم هذا الأمر مصاريف ونفقات باحظة، كانت كلها تخرج من خزينة الدولة(١) .

ثم أنه مع ضعف السلطة المركزية للشاهات الذين أتوا من بعده، أخذ الاقتصاد الصفوي بالهبوط إلى الحد الذي لم تستطع فيه الدولة الصفوية حماية نفسها من الغزو الأفغاني، الذي قدم من الشرق، واستولى على العاصمة أصفهان بين عامي ١٧٢٢ – ١٧٢٩ م. (٢)

(١)نصر الله فلسفي : المرجع السابق، ج ١، ص ٢٢٩ – ٢٣٦

(٢)نقري پاكباز نادر شاه كوتاه شده از دره نادرى تهران ١٣٧١ هـ ش ،ص ١٤

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة التي ألقت الضوء على الامتداد الجغرافى للدولتين العثمانية والصفوية وأثر هذا الامتداد على اقتصادهما،تبين أن قيام الدول، والحفاظ على قواها، وسيرها قدماً إلى الأمام، مناط باستثمار الأرض والوقت، بكل ما تعنيه كلمة استثمار من معاني، وما تشتمل عليه من اقتصاديات زراعية وصناعية وتجارية، ودون ذلك يعني الضعف والتخلف والانهيار، وهذا ما أكدته هذه الدراسة .

إذ اتضح أن الدولة العثمانية، نشأت من جراء انسياح القبائل التركمانية – (التركية) الآتية من أواسط آسية إلى الأناضول، مستقرة على أراضي دولة البيزنطيين، وذلك منذ الفترة التي تلت معركة ملاذكرد ١٠٧٠م، فتم لهؤلاء التركمان الاستيطان على بر الأناضول الذي لم يكن بحال من الأحوال تركياً، إلا بعد أن غزاء التركمان، وجهدوا على تتريكه ليغدو فيما بعد عثمانياً تركياً من الجانب القومي، وإسلامياً، لاعتناق معظم ساكنيه الديانة الإسلامية من الجانب الديني.

وعلى النحو ذاته، كان قد استقر قسم كبير من هؤلاء التركمان أيضاً، قبل وصول اقرانهم إلى الأناضول وبعده، على أرض إيران، التي كانت تضم، وما زالت، أقاليم هذه فيها شعوب متفاوتة في الأصل والمنشأء كالبلوج في أقليم بلوچستان، والعرب في أقليم خوزستان – (عربستان)، والأكراد في أقليم كردستان، والفرس في أقليمي عراق العجم وفارس وبعض مناطق خراسان، والأتراك في أذربيجان وغيره من أقاليم الهضبة الإيرانية حيث لم تكن الدولة الصفوية أولى الدول التركمانية التي حكمت هذه الهضبة، بل حكمها قبل نحو مئة عام، دولنا الفقرة قويونلو والآق قويونلو التركمانيتان .

يصعب التفريق أحياناً بين السياسة والاقتصاد لارتباط كل ناحية بالأخرى ارتباطاً وثيقاً يجعل من المتعذر النظر إلى إحداهما بمعزل عن الأخرى.

يكن الصراع لأجل مناطق الأطراف ليمثل لدى العثمانيين والصفويين حلا وقائياً، يمنع تجاوز إحدى الدولتين المناطق الأخرى، بل كان لوقوف الدولة الصفرية في إيران بمثابة حاجز متين، بوجه قوافل

التجارة العالمية.

اقتضت مصلحة الدولة الصفوية سياسياً أو اقتصادياً التحالف مع القوى البرتغالية، وذلك لتسهيل الأعمال التجارية بين الطرفين من جهة، وللوقوف بوجه العثمانيين من جهة أخرى.

لم تكن التدابير التي اتخذتها الدولتان الصفوية والعثمانية) للحفاظ على أمنها الاقتصادي حاسمة، بل كانت وقتية لأن القوى الأوروبية، كانت قد بدأت باستثمار مشاريعها الاستعمارية.

كل هذا يقف وراءه الامتداد الجغرافى ومدى تأثيره على الجانب الاقتصادى فكلما زادت رقعة الدولة سواء العثمانية أو الصفوية فتنصب على موارد الدولة المتعددة مورد الثروة الزراعية ومورد المنتجات الحرفية والصناعية

ومورد منتجات المناجم ومجموع الضرائب والمصادرات والضرائب المتفرقة والجزية،ومخارج تلك الموار د ووجوه الانفاق ومصاريف الدولة. الرواتبك ومصاريف البلاط والمصاريف العمرانية والنفقات العسكرية .

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية

(١)أحمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني، بيروت، ١٩٩٣.،م

(١)البكري الصديقي محمد بن أبى سرور (ت) ١٠٧١ هـ): المنح الرحمانية في الدولة العثمانية، وذيله اللطائف الربانية على المنح الرحمانية، تحقيق ليلى الصباح، دمشق .١٩٩٥، م

(١)خليل ساحلي أوغلي : تغير طرق التجارة في القرن السابع عشر الميلادي والتنافس بين مينائي طرابلس والإسكندرونة، أبحاث المؤتمر الدولي الثاني التاريخ بلاد الشام دمشق ١٩٨٠م

(١)خليل ساحلي أو غلي :ميزانيات بلاد الشام في القرن السادس عشر الميلادي بحوث المؤتمر الدولي التاريخ بلاد الشام المنعقد في الجامعة الأردنية عمان، ١٩٧٤م .

(١)الخوند مسعود: الموسوعة التاريخية الجغرافية، بيروت ١٩٩٥ –١٩٩٦م .

(١)رضي الدين محمد بن إبراهيم الحنبلي: در الحبب في تاريخ أعيان حلب، دمشق ١٩٧٢.م

(١)سالم الرشيدي :محمد الفاتح القاهرة، ١٩٥٦ م.

سعيد برجاوي: الدولة العثمانية وتاريخها السياسي والعسكري، بيروت، ١٩٩٣ .م

(١)سيار الجميل : العثمانيون وتكوين العرب الحديث، بيروت، ١٩٨٩.م

(١)سيد محمد السيد : دراسات في التاريخ العثماني، القاهرة ١٩٩٦. م

(١)عباس العزلوي: تاريخ العراق بين الاحتلالين، قم، ١٤١٠.

(١)عبد العزيز نوار : الصراع العثماني الفارسي والعلاقات الفارسية العربية ، بيروت (د.ت).

(١)كامل مصطفى الشيبي: الطريقة الصفوية ورواسيها في العراق، بغداد١٩٦٧م

(١)محمد أنيس الدولة العثمانية والمشرق العربي ١٥١٤ – ١٩١٤، القاهرة، ١٩٧٧ .م

(١)محمد جميل بيهم: العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب، بيروت، ١٩٥٧.م .

(١)محمد سهيل طقوش العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، بيروت، ١٩٩٥. م.

(١)محمد عبد اللطيف الهريدي : الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المد الإسلامي على أوروبة، القاهرة، ١٩٨٧.م

(١)محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلمية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي بيروت ١٩٩٣. م

(١)وجيه كوثراني : تعقيب على محاضرتي العلاقات التاريخية بين العرب والإيرانيين لعبد العزيز الدوري وأحمد لواساني العلاقات العربية – الإيرانية الاتجاهات الراهنة وأفاق المستقبل مركز دراسات الوحدة العربية، الامارات (د.ت).

(١)وجبه كوثراني : موقع العلاقات العربية التركية في إطار العالم الإسلامي العلاقات العربية التركية حوار مستقبلي مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1996 .م

المصادر والمراجع الفارسية

(١)باستاني باريري: سياست و اقتصاد عصر صفوى، تهران، ١٣٦٧ هـ.

(١)حسن بيگ احسن التواريخ به كوشش: عبد الحسين نواتي، تهران، ١٣٧١ هـ .

(١)سيد حسن بن مرتضى حسينى استرآبادي از شخ صفي ناشاء صفي ، تحقيق إحسان إشراقي، تهران (د.ت)

(١)مريم مير أحمدى دين و دولت در عصر صفوى ، تهران ١٣٧١ هـ .

(١)ميرزا الإيراني، أبو الفضل فارسي تاريخ سلاطين بني عثمان، مكتبة الأسد. دمشق، رقم ١٥٩٠٥، .

(١)**نصر الله فلسفى :زندگانى شاه عباس أول**، تهران، ١٣٥٨ هـ، .

نظام الدين مجير شيباتي :نظام الدين تشكيل شاهنشاهي صفوية وأحياء وحدت ملي، تهران ١٣٤٦ هـ .

(١)**نقري پاكباز نادر شاه كوتاه شده از دره نادرى تهران ١٣٧١ هـ .**

المصادر والمراجع المترجمة:

(١)بروكلمان كارل تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير يعليكي، بيروت، ١٩٦٥.،

(١). برنارد لويس: استنبول ترجمة: السيد رضوان علي بنغازي ، (د. ت)، .

(١)البدليسي شرف خان (ت) ١٠٠٥ هـ): شرف نامه البدليسي، ترجمة محمد علي العوني ويحيى الخشاب، مصر، د. ت.،

(١)روبير مالتران وآخرون : تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: بشير السباعي، القاهرة ١٩٩٣، .

(١). ف. هايد : في تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة: محمد أحمد رضاء القاهرة، ١٩٨٥.

(١)كلوس كريز و آخرون: معجم العالم الإسلامي، ترجمة: ج، كتورة، بيروت ١٩٩٦، .

(١)كوبريلي محمد فؤاد قيام الدولة العثمانية، ترجمة: أحمد السعيد سليمان القاهرة، ١٩٦٧ .

(١)نصر الله فلسفي إيران وعلاقاتها الخارجية في العصر الصفوي، ترجمة: محمد فتحي الريس، القاهرة، ١٩٨٩ .

المراجع الأجنبية:

.S.P. Ye's A History of Persia. 1963.

S. Ye's Persia. 1922.

The Encyclopaedia of Islam. 1995

The Encyclopaedia of Islam. 1986

The Encyclopaedia of Islam. 1980

The Encyclopaedia of Islam. 1995.